

اختار الله رسلاه واصطفاهم على من سواهم

[نَمْ رَسُلَهُ صَادِقُونَ بِخَلْفِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ] الشرح * قوله: (نَمْ رَسُلَهُ صَادِقُونَ مَصْدُوقُونَ). أي: أنه - سبحانه - هو أعلم برسله الذين أرسلهم إلى خلقه لتبلغ رسالته إلى خلقه، وقد اختارهم واصطفاهم على من سواهم من خلقه لاتصالفهم بالصدق، وهم مصدقون، أي: يجب على أممهم تصديقهم وقبول أخبارهم والتصديق بها، ومن لم يصدقهم فهو كافر بالله العظيم، وكذلك فإن الله صدق الرسل وأيدهم، قال تعالى: {لَكُنَ اللَّهُ يَشَهِدُ بِمَا أَتَرَلَ إِلَيْكَ} [النساء: 166]. وقال تعالى: {وَلَوْ تَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَوِيلِ لَأَخْدُنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} [الحاقة: 44-46]. وفي نسخة من الكتاب: (صادقون مصدوقون) فيكون المعنى: أنهم مصدقون من قبل الله تعالى ومن قبل الوحي - جبريل عليه السلام - وكل ما أوحى إليهم فهو حق وصدق. والحاصل: أنه يجب التصديق برسول الله وما جاءوا به من الشريعة ومن الأخبار على وجه العموم، ولا يجوز قبول بعض أخبارهم دون بعض، فإن من فعل ذلك فإنه لم يؤمن بالله ورسله حق الإيمان، بل يكون منمن آمن ببعض وكفر ببعض؛ لأنَّه قبل بعض الشريعة دون بعض، وقد كفر الله تعالى من فعل ذلك، فقال سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَبُرِيدُونَ أَنْ يُقَرِّفُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ تُؤْمِنُ بِيَقْعُضُ بَعْضَ} إلى قوله: {أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًا} [النساء: 150، 151]. الآية. فالذي يقبل بعض الشريعة دون بعض فهو من الكافرين حقاً، كمن يقبل أحكام الشريعة فيما يتعلق بالعبادات، ولا يقبل ما يتعلق بالأموال مثلاً فكذلك المبتدعة يؤمنون ببعض وبكلِّفرون ببعض، فإنهم يقبلون ما يتعلق بالأحكام والأوامر والنواهي، ويردون ما يتعلق بالأسماء والصفات، فلا بد من قبول ما جاءت به الرسل؛ لأنهم الصادقون المصدقوون. * قوله: (بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون). فإن هناك كثيراً من المبتدعة يتخرصون في صفات الله، ويقولون على الله بلا علم فهو لاء في مرتبة المشركين؛ لأن الله تعالى قرنه بأهل الشرك، ورتب ذلك، فقال تعالى: {وَأَنْ تُسْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: 33]. وينطبق هذا على نفاة الصفات الذين يقولون: لا يجوز أن يوصف الله بأنه يعلم، ولا بأنه يقدر، ولا بأنه يرحم، ولا بأنه ينزل في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا، ولا بأنه مستو على العرش، ولا بأنه قريب من عباده، وغير ذلك من الصفات الذاتية والصفات الفعلية. فهو لاء هم الذين يقولون على الله ما لا يعلمون، بخلاف الرسل الصادقين المصدوقين، الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله، فإنهم قد بلغوا ما أنزل إليهم من ربهم، وبيّنوه أبلغ بياناً، وأوضحو ذلك للثقلين.